

الدور والفتنة في الكسوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس :

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل في حفلة تأييده وطبعه في كتاب ، وطبع ديوانه ، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه . ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى . وفي كل ذلك ، وفي كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، بصفه القائلون والساكنون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه ، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لمدم عرفانها أقدار الثابنين من أبنائها !

قيل كل ذلك ، وقيل مثله في حفلة التأيين الماضية ، وسيدور حوله المحققون بالذكرى في الحفلة الزرمة ... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً ؟ أو بتمبير آخر : هل ظلمه المجتمع وجرمه نعمة العيش الرخي ؟

إنما يأتي البؤس والحمران من التعفف مع عدم القدرة على الارتفاق ، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. إذ كان من الغفاة السائلين ، وكان ذا حيلة في هذا الضمار ندر عليه الكثير من المطاء ، وكان يماونه على ذلك أسدقاء ، منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكك بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون .

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات في التدريس عجائس الدبريات ، وطالما دعي إلى التحرير بالصحف والمجلات ؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفي بعض الأحيان كان يحتال لأخذ الراتب مقدماً ، ثم يذهب ولا يعود ! وكان له زملاء في أول العهد قاموه بالتسكع في الحى الحسينى ،

وكانوا يسمونه « الحى اللاتينى » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير . وبما يروى من نوادرهم معه في عهد البؤس أن أحدهم - وهو الآن صحفى معروف يكسب حوالى مائة جنيه في الشهر - نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام ، إذ أراد كل منهما أن يهني به فرائشاً على (الرصيف) في حرم المسجد الحسينى ، فاقسمه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذى فيه « افتتاحية » العدد ... وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذى ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له قالاً حسناً ، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات ! وكان الديب يقضى حياته الخاصة في الظلام ، يماشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين ، وكان يتفق على هؤلاء ومهمهم ما يجمه من هنا وهناك . فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة ، حيث يلتقى ببعض الأدباء والياسير ممن يطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرّفهم بنوادر من شئون الخاصة ممرضاً بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير فى (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ؛ ثم يخرج عامراً الجيب إلى حيث يفرغه في تلك البيئات النحطة ... ثم تنتهى الدورة بفترة البؤس الذى سنمه بتلك القدمات !

ولم يكن وقيماً المصدقين عليه ، بل كان ينشئ عليهم بالهجوم ، بمد أن قدم المدح على المطاء ... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر السطية ... وكان يعرف ذلك منه الرحوم أنظون الجليل باشا فكان لا يبطيه في المرة إلا (شلتنا) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم ! ولعل هذا هو الذى أوحى إليه نوعاً طفيفاً من المدح بضمة أبيات لا يتألى بها في مدح المدوح ، وكان يسمى هذه الدائخ « الشنيتات » نسبة إلى ما يرجوه من ورائها . وكان يطلق اسمه - حديثاً وشعراً - على كل من يحسن إليه ، قيل له : اهج فلاناً . فقال : وماذا أهجوه وهو لم يحسن إلى ولم يخطئ شيئاً ؟ وراء أصحابه مرة مقبلاً عليهم في تيه وكبرياء ، فقالوا إنه لا بد أن يكون في جيبه - على الأقل - عشرة قروش ... فلما سأله في ذلك ، قال : أتى لى ... وهل يترك مى كامل الشناوى شيئاً يا أستاذ ! ؟ والأستاذ كامل الشناوى معروف بمطعه عليه

جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يارجال الشعر والقول الرصين لمن الله أباكم أجمعين
أما الناعون على هذا الوطن ججوده وإمهاله النابغين من أبنائه
فليثتموا الثاني في غير عبيد الحيد الديب ، وبعفوا التاريخ من
التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً
منحلاً منفكاً متحللاً تأمهاً شارداً ... فليبعفوا الأدب والفن
مما يحبون .

أسبوع شوقي :

اقتربت ذكرى المفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء ،
فقد توفى في الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفي
مثل هذا الوقت من العام الماضي ثارت عجاجة حول برنامج حفلة
وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان
فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء في
مقارمة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة مما ،
إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ،
فمدلوا عما كان موضع المؤاخظة ، فكان ذلك عملاً مرضياً ؛ أما
المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقي كانت في العام الماضي - على ما كان
فيه - أحسن حظاً منها في هذا العام ... فقد كان في الأول
كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أى حديث
مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبفسي فكرة أروحت إلى بها كيفية الاحتفال
بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتق بذكرى نفسه
إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح
أن يخصص أسبوع لذكرى شوقي (ولا أقل من أسبوع) تشغل
لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى
هذا الأسبوع « أسبوع شوقي » ، ويمكن تنفيذ في هذا العام
وإن كان الوقت ضيقاً ، فسر حياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ،
والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان
شوقي ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطعوا

واهتمامه بأسره ... وشاهده بعض اصحابه في ثياب رثة ، فقال
أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : بمن علينا أن يكون
الديب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلاباب) ،
وتنطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلنثة) ، فهللوا
نوارى سواته ... وأحضروا له ثياباً نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها
وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً ...
ثم قال : ألا ترونني وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال
في هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ،
الإمام معالي الأستاذ إبراهيم دسوق أباطة باشا . قال لى الأستاذ
محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوق باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هياغو للديب رزقاً لكان محمدكم صل وساما

ومالى لا أروود حى رحيباً تكنف حانظاً ورعى حماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات
(من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقية كبيرة ملأى باللابس ،
وأحاله إلى (التزى) ليصنمها على قدمه ... فكان يجن من الفرح
وراح يقارن بين حاتم الطائي وبين دسوق باشا مقارنة انتهى فيها
إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء
المدائح فيه . ولكن الذئبية أدركته مرة ، فقال أحياناً أولها :

أبلغ أباطة عنى أنهم ورتوا مالا ولم يرتوا ديناً ولا خلقا

وبلغت الأبيات دسوق باشا ، فابتسم ، ثم استدعا ، ونفحه
نقعة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإني أكاثمه على الشعر
الجيد . فاستمر بمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر
في مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هى الحقيقة في حياة عيد الحيد الديب كما يعرفها خلطاءؤه
لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها : فلم يكن البؤس يأتي إليه
قدرأ لا يد له فيه ، وإعنا كان هو يصنع البؤس صنماً ، كان
يحصل على المال بتلك الوسائل وينذره تذبذباً في أدنا الوجوه ،
وفي أقدار البيئات ، ثم يحوع ويعمرى بصنمه ... وكانت تعوزة
الكرامة والإباء والعفة ليكون بانساً حقيقياً . وكان لا يتحرج
من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم
ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد سب

تلحين جديد ، فليدبرهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية
فهي المشرفة على الفنون والمسرح ، وأذكر لها أعضاء اللجنة
التي ألفت في العام الماضي لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم
ناجي الذي ثبت في الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء
بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

ومن نفق الوزارة على هذا الأسبوع ؟ أظن ذلك لا يمجزها .
ولو كان الأمر بيدي لأخذت المبلغ الكبير المخصص لاستيراد
الفرق الأجنبية وأنفقته على هذا الأسبوع ويسرت على الناس
مشاهدة حفلاته ، ليربطوا ويذكروا شوق ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »
للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقد بين فيه مذاهب
النقد الأدبي ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمي
إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربي
المعاصر ، مستقسيماً بينانه وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولا يسع متابع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الكتاب
ويهتم به ، لأنه كتاب جديد في المكتبة العربية ، فهو أول
مؤلف عربي - على ما أعرف - في موضوعه بشقيه : الكلام
في النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . وبما يدعو أيضاً
إلى الانفات إليه والاهتمام به ، ظهوره في هذا الوقت الذي كاد
يندم فيه النقد الأدبي ، فلم نعد نرى إلا هذه المجالات التي
تكتب عن الكتب هنا وهناك ، بدافع الجاملات الشخصية ،
والتي يكتبن كاتبوها - في أكثرها - بالفاء نظرة عاجلة على
الفهرس والقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد في
أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما
سعى شتاهم وتجربحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..
وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »
فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مستمر ، ومن
ميزاته الأثران واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصد إلى
التطويق والإرجاع^(١) في ميزانه ، بما لاحظته في الكتاب سهما
ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفي بهذه الإشارة ، لأن

القام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتي أنه
وضع بكتابه هذا لجنة في بناء الأدب العربي الحديث .

التأليف المسرحي :

أنجحت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ،
ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التي تواصل العمل المسرحي
الراقي في مصر ، فقد كانت هي محور الاهتمام ، فضم إليها بعض
الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي بك الذي
أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكي طليمات مديراً فنياً لها
وكان أول شيء استدعى الاهتمام في الاستعداد الموسمي القادم
هو أزمة التأليف المسرحي التي كانت تضغط الفرقة إلى تكرار
المسرحيات القديمة . ولواجهة هذه الأزمة وعلاجها اتخذت
الخطوات الآتية :

١ - قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة
للتأليف المسرحي يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار
العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : المسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ،
والثانية مائتان ، والثالثة مائة وخمسون .

٢ - وقلت الأستاذ زكي طليمات : لوحظ أن المتدينين
بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذي يقدم فيها
ضعيف ، فهل تتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفي الفرقة ؟
فقال : هذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مسارباً للمجموع
الجوائز - وهو ستمائة جنية - لتكثيف كبار الكتاب المعروفين
بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ،
وهو الآن يعمل في مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك
وهي يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمود نيمور بك ألف
مسرحية اسمها « الملك الحار » ، وهي تتناول شخصية
امرى القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ - هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة
ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز في مسابقة كانت أجرتها
وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولم يمثل من هذه ولا تلك شيء ،
فاختار بعضها يوسف وهبي بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ
المؤلفون من تأليفهم ، ومن هذه الروايات « مر الحاكم بأمر الله »
للأستاذ أحمد علي بك كثير ، وسيبدأها الموسم في منتصف أكتوبر
وتجري الآن تجاربها في مسرح حديقة الأزبكية .

عباس فخر

(١) التمثيل : نفس الوزن ؛ والإرجاع : زيادة .